בס"ד

في رِحاب التّوراة

دِراساتٌ وحِواراتٌ روحانيّة مُعمّقة في النّصوصِ التّوراتيّة الأسبوعيّة مع
الحاخام جوناثان ساكس

Jonathan Sacks
THE RABBI SACKS LEGACY

نتقدّم إلى عائلة شِمل بجزيل الشُّكر والعِرفان على دَعمهم السخيّ لكتاب "في رِحاب التّوراة" (Covenant and Conversation),
ونُهدي هذا الكتاب لذِكرى الحاخام الراحِل هاري (حايم) شِمل طَيّبَ الله ذِكره.

"لقَد عَشِقتُ تعاليمَ التّوراة التي قدّمها الحاخام حايم شِمل منذُ اللحظة الأولى لاطّلاعي عليها، خاصة وأنه عَمل جاهِداً على ألا تتطرّق تعاليمه للحقائق السطحية فقط، بل تعمّق في عَلاقتها بالحقائق الموجودة وراءها. وبرِفقة زوجته أنّا، تلك المرأة الاستثنائية ذات الستين ربيعاً، فقد أسّس الحاخام حايم حياةً مُكرّسة لحُبّ العائلةِ والمُجتمع والتّوراة، فكانا زَوجينِ مُميّزينِ ومثالاً يُعتدّ به بكلّ ما تحمِلهُ الكلمة من معنى، الأمر الذي كان له عميق الأثرِ عليّ. " - الحاخام جوناثان ساكس

With thanks to the Schimmel Family for their generous sponsorship of Covenant & Conversation, dedicated in loving memory of Harry (Chaim) Schimmel.
"I have loved the Torah of R' Chaim Schimmel ever since I first encountered it. It strives to be not just about truth on the surface but also its connection to a deeper truth beneath. Together with Anna, his remarkable wife of 60 years, they built a life dedicated to love of family, community, and Torah. An extraordinary couple who have moved me beyond measure by the example of their lives." — Rabbi Sacks

"بِهار" هو النصُّ الأسبوعيّ التاسع من كِتاب "فَيِقرا" (أي سِفر اللاويّين) ويبدأ هذا النصّ الأسبوعي بالآية الأولى من المقطع الخامس والعشرين ويَنتهي بالآية الثانية من المقطع السادس والعشرين.

الإحساسُ بالانتماءِ لِلعائلة

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*

لقد تَطرّقتُ في مقالة النصّ الأسبوعي "قدوشيم" (والتي تحملُ عنوان "في خِضمِّ البحثِ عن الهوية اليهودية") إلى مسألة اليهودية، وأنها تتخطّى حدود كونها "مجموعة إثنية" لتصل إلى كونِها نِداءً لِلقداسة. في الوقت نفسه **يوجدُ بُعدٌ عِرقيّ** لليهوديّة نوضّحُهُ ببساطة من خلال طُرفةٍ كانَت رائجة في ثمانينيات القرن الماضي حول أحد الدعايات التجارية في مدينة نيويورك، حين كانَت هناك لافِتاتٌ ضخمةٌ مُعلّقة في كافة أرجاء المدينة تُروِّجُ لمصرفِ تشيس الأمريكي (Chase Manhattan Bank)، فكان مكتوباً على تلك اليافِطات: "لَديكَ صديقٌ في مَصرفِ تشيس مَنهاتِن"، فَجاءَ رجلٌ إسرائيليّ وكتب أسفل إحداها: "لكن لديكَ مِشْيوحَاه (عائلة) في البَنك الوَطَنيّ الإسرائيليّ".

واليَهودَ هم عائلةٍ واحدةٍ ومُمتدّة، وهذه حَقيقةٌ يُدرِكها كُل يهوديّ ويؤكّدُ عَليها بل ويُثبِتهُا هذا النصّ الأسبوعِيّ من نُصوصِ التوراة، حيثُ نَجِدُ طابَع العائلة طاغياً على آياتِ هذا النصّ كونه يتطرّقُ لعدد من القوانين والتشريعات الاجتماعية، خاصة في الآيات التالية:

الآية الرابِعة عشر من المقطع الخامس والعشرين من سِفر اللاويين: **"فمتى بِعتَ *أخاكَ* مَبيعاً، أو اشتريتَ مِن يَدِ *أخيكَ*، فلا يغبُنُ أحدكُم *أخاه*".**

الآية الخامسة والعشرين من نفس المقطع ونفس السِّفر: **"إذا افتقَر *أخوكَ* وباعَ ملكه، يأتي وَليُّهُ الأقربُ إليه ويفكّ مَبيع *أخيه*".**

الآيات 35-36 من نفس المقطع ونفس السِّفر: **"وإذا افتقرَ *أخوك* وقَصُرَت يده عنكَ، اعضُدهُ غريباً أو أجنبياً يعيشُ معك. لا تأخُذ مِنهُ عينةً ولا رِبا، وخَف، حتى يعيشَ *أخوك* معَك".**

الآية التاسعة والثلاثين من نفس المَقطع ونفس السِّفر: **"وإذا افتقرَ *أخوكَ* وبيعَ لك، فلا تستعبدهُ استِعبادَ عبدٍ".**

إن كلمة **"أخوك"** المذكورة في الآياتِ السّابقة لا يُقصدُ بها حَرفِياً معنى الأخوّة، فقَد تَحمِلُ معنىً آخر وهو القَرابة، لكن غالِباً ما تحمِلُ في هذا السياق معنى "أخوَكَ اليهوديّ". ولو فكّرنا في استخدام كلمة أخّ في هذا السّياق لوَجَدَناه أُسلوباً مُمَيَّزاً في النظرةِ إلى المُجتمعِ وإلى مسؤولياتِنا تِجاهَ الآخرين، فنحنُ اليهودُ لَسنا مُجردَ مواطنين ينتمون للدولة نفسها أو مجرّد أتباع للدين نفسه، بل نَحنُ أفرادُ لعائلةٍ كبيرةٍ ومُمتدَّة. وسواءً كانَ أحدُنا يهودياً سَواءً بالوِراثة أو بالاعتناق فإننا نظلّ أبناء أقْرَهام /إبراهيم وساره، كما أننا نمتلكُ أغلبَ فتراتِ التاريخ نفسه، وأَعيادنا الدينية هي بمثابة إحياء للذكرياتِ ذاتِها. كما أننا صُهِرنا جميعاً في بَوْتَقة المعاناة ذاتِها، لهذا فإن طبيعة العلاقة بيننا تتجاوز حُدود الصداقة وتصل إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير: إننا عائلةٌ واحدة (مِشْپوحَاه بِاللهجة اليديشية).

كما أن مَبدأ العائلة هو بالطبعِ أحدُ أهمّ المَبادئ الموجودة في صميم اليهودية، ولنأخُذ سِفر التَكوين باعتباره أوّل سِفرٍ من أسفار التوراة لنوضِح هذه النقطة، فهذا السِّفرُ لم يتطرّق للحديثِ عن الدين أو التعاليم الدينية، ولم يتطرّق إلى الجدل حول قضيّة الوثنية وعِبادة الأصنام، بل هو يَتطرَّقُ أساساً إلى موضوع العائلة: الأزواجُ والزوجاتُ والأبناءُ والبناتُ والإخوةُ والأخواتُ.

كذلك فإننا نجِدُ الله عزّ وجلّ يُعَرِّفُ علاقته مع بني يسرائيل من منظور العائلة خِلال مواقف حاسمةٍ في نصوص التوراة، حيثُ يأمرُ موشيه/موسى بالتّوجه إلى فِرعون وأن يقولَ له بالنّيابة عنه (أي بالنيابة عن الله عز وجل): "يسرائيلُ إبنِيَ البِكرُ" تِبعاً لما تذكره الآية الثانية والعشرون من المقطع الرابع من سفر الخروج. وعِندما بَيّنَ موشيه لِبني يسرائيل لماذا يجبُ عليهم أن يكونوا شَعباً مُقدّساً، خاطبهُم قائلاً: "أنتُم أبناءُ الله إلهكم، فلا تُنجِّسوا أنفسكم" تِبعاً لما تذكره الآية الأولى من المقطع الرابع عشر من سفر التثنية. بالتالي عِندما يكونُ الله بمَثابةِ الأب بالنسبة لنا، فهذا يَعني أننا إخوةٌ وأخواتٌ لبعضنا البعض، والعلاقة التي تجمعنا تمتدُّ إلى ما هوَ أبعدُ من ذلكَ لِترتبطَ بِصَميم هويّتنا اليهودية.

كما سارَ أنبياء اليَهودُ على نفسِ المِنوال، إذ يُعبِّرُ أحد المقاطع في سِفر هوشيع/هوشع عن الله بطريقةٍ وكأنهُ أبٌ يُعلّم ابنه الصغير ويأخذ بيده ليعلّمه المَشي تدريجياً، حيث تقول: **"لَمَّا كَانَ إِسْرَائِيلُ غُلاَمًا أَحْبَبْتُهُ، وَمِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي... كُلَّمَا دَعَوْهُمْ ذَهَبُوا مِنْ أَمَامِهِمْ يَذْبَحُونَ لِلْبَعْلِيمِ، وَيُبَخِّرُونَ لِلتَّمَاثِيلِ الْمَنْحُوتَةِ. وَأَنَا دَرَّجْتُ أَفْرَايِمَ/أفرام مُمْسِكًا إِيَّاهُمْ بِأَذْرُعِهِمْ فَلَمْ يَعْرِفُوا أَنِّي شَفَيْتُهُمْ... كُنْتُ أَجْذِبُهُمْ بِحِبَالِ الْبَشَرِ، بِرُبُطِ الْمَحَبَّةِ، وَكُنْتُ لَهُمْ كَمَنْ يَرْفَعُ النِّيرَ عَنْ أَعْنَاقِهِمْ، وَمَدَدْتُ إِلَيْهِ مُطْعِمًا إِيَّاهُ"** تِبعاً لما تذكره الآيات 1-4 من المقطع الحادي عشر من سِفر هوشع.

والحال نفسهُ ينطبق على كبار حاخامات اليهود، فعلى سبيل المثال لا الحصر نجدُ الحاخام الكبير عَقيفا بن يوسف يستخدم عِبارة **"أڤينو مَلكينو"** (أبانا ومَلِكنا) والتي تعتبرُ واحدة من أشهر العِباراتِ التي تُردّدُ في الأدعية اليهودية، وهو تَعبيرٌ مُحدّدٌ ومَقصودٌ في مُخاطبة الله عز وجلّ، لأنهُ المُشرِّعُ والقاضي وصاحِب المُلكِ والسُّلطان، لكنه قبل هذا كُلّه والِدُنا ونحنُ أبناؤهُ، ولهذا السبب تحديداً تجِدنا نؤمنُ بأن رحمةَ الله عزّ وجلّ دائماً تتغلّبُ على عَدلِه الحازِم.

وقد تحدَّثَ الحاخامُ الكبير موشيه/موسى بن ميمون عن مبدأ العائلة اليهودية المُمتدّة مُعبّراً بمُنتهى العُنفوان عن هذه العلاقة في خضمّ حديثه عن تشريعات التبرّعِ والإحسانِ وفِعل الخير، حيثُ يَقول:

> "إنَّ الشعبَ اليهوديّ بأكمله، وجَميع من تربطهم صلة باليَهود، يعتبرون كالإخوة، مِصداقاً لما تقوله الآية الأولى من السفر الرابع عشر من سفر التثنية: **"أنتُم أبناءُ الله إلهُكم، فلا تُنَجِّسوا أنفسكم"**. وحين لا يرحمُ الأخ إخوته، فمن ذا الذي سيرحمُهُم إذاً؟ بِمَن يستجيرُ اليهوديّ البائِس؟ هل يستجيرُ بغيرِ اليهود الذين يكرهونه ويلاحقونه على الدوام؟ لا يَستجيرُ اليهوديُّ إلا بِأخيهِ اليهوديِّ". [1]

كما أنَّ عاطِفةَ الأُخوّة واللُحمةِ والتّعاضُدِ بين أبناء العائلة الواحدة موجودٌة في صَميم مبدأ "كول يسرائيل عَريڤيم زيه بَزيه" (بمَعنى أن كُلّ يَهوديّ يتحَمّلُ مسؤوليةً تِجاه أخيهِ اليَهوديّ) تماماً مثلما وضّح الحاخام شمعون بار يوحاي حين قال: "إذا تألّمَ يهوديّ فإن سائِرَ اليهودِ يَتألّمونَ لألَمِه"[2]. والسؤالُ الذي يَطرحُ نفسه هُنا: لماذا قامَت اليهوديّة بالاحتذاءِ بنموذجِ العائلة؟

في الواقعِ فإن جُزءاً من الإجابة على هذا السؤال يتعلّقُ باختيارِ اللهِ عزّ وجلّ لليهود، فَهو لم يختَر نُخبةً من الصالحين أو حتى فِئةً قريبةً منهُم مَنزلةً، بل اختار عائلة مُحددةً امتدّت ونمَت مع مرور الزمن، هذه العائلة التي بَدأت بأقْرهام وساره ومن انحدر من نسلِهما. في الوقت نفسه فإن العائلة تُعتبرُ أقوى أداة حاضِنة للاستمرارية والمَضيّ قُدُماً، وبالنسبة لليهودِ فإن ما كان مطلوباً منهُم تغييرهُ لم يكن لِيتحققَ خلال فترةِ جيلٍ واحدٍ دون أدنى شك، الشيء الذي يعني أن العائلةَ لها

أهميّة خاصة من ناحيةٍ تعليميّة وتربوية، وهذا ما تُذكّرنا به الآية السابعة من المقطع السادس من سفر التثنية: **"وقُصّها على أولادِك، وتكلّم بِها حين تجلِسُ في بيتِك"**، الأمرُ الذي يعني استكمال القِصّة اليهودية وحملَ الرسالة من جيل لآخر، وهذا ما يتجلّى تحديداً أثناء تناولنا لوجبةِ الطعام الخاصة التي نتناولها عشيّة عيد الفِصح وما يُرافِقها من قِراءة لأدعية وصلواتٍ مُحدّدة تُتلى في هذه المُناسبة (سيدِر).

كما يوجدُ سببٌ آخر لاختيار العائلة كنموذجٍ لبناء الهوية اليهودية، وهو أن الشعور بالانتماء للعائلة يُعتبرُ من أقوى الروابط الأخلاقيّة التي تجمع البشر، وفي هذا السياقِ أستذكر مقولةً مشهورة للعالِم البريطاني جون بوردون هولدين حين سُئِل عَما إذا كان سيقفِزُ في النهر ويُخاطِرَ بحياته من اجل إنقاذ أخيه الذي يغرق، فأجاب قائلاً: "كلا، لن أفعل ذلك. لكني كُنتُ سأفعلُ ذلك لو رأيتُ اثنين من إخوتي أو ثمانية من أبناء عمومتي يغرقون". والفِكرة التي أراد جون هولدين إيصالها هي أننا نُشبهُ أشقاءَنا بنسبة خمسين بالمائة فيما يتعلّق بالجينات التي نحملها، ونتشابه مع أبناء عمومتِنا في هذه الجينات بنسبة الثُّمن تقريباً، والمخاطرة بالحياة من أجل إنقاذهم تعني ضمان تمرير جيناتنا للجيل القادم. إن هذا المبدأ المعروف بِـ"اصطِفاءِ القَرابة" هو واحدٌ من أبرز مظاهر الإيثار في حياة المرء، وبفضلِهِ يتولّدُ لدى الإنسان وازعٌ أخلاقيٌّ داخليٌّ.

ولا تَقِفُ أهميّة هذا المبدأ عند حدودِ علم الأحياء والبيولوجيا فحسب، بل تتعدّى حدود ذلك لتصل إلى عالم النظريات السياسية، وفي هذا السياق يوضِّحُ المفكر السياسي الإيرلندي إدموند بيرك (1729 – 1797م) قائلاً: "إن انتماءك لمجموعةٍ صغيرة تتفرّع من مجموعة أكبر، ومحبّتك لهذه الجماعة الصغيرة التي تنتمي للمجتمع، هُما بمثابة المبدأ الجوهري الذي تنطلق منه محبّتك للمُجتمع عموماً. إنها بمثابة الرابط الأوّلي الذي تنطِلقُ منه سلسلةُ محبّتنا لبلادنا وللإنسانية عُموماً" [3]. وهذا ما أكّدَ عليه ألكسيس دو توكفيل أيضاً حين قال: "طالما ظلّ الشعورُ بالانتماء للعائلة على قيدِ الحياة، فإن من يَقِفُ في وجه الظلم لن يكون بمُفرده أبداً". [4]

بالتالي فإنّ العائلة القوية والمتماسِكة هي الأساس الذي تقومُ عليه المُجتمعات الحُرّة، لأنّ قوّة العائلة وتماسُكها يولّدان حالة من الإيثار الذي يمتدّ إلى خارج نطاق العائلة، ليصل إلى الأصدقاء والجيران والمُجتمع ثمّ إلى الشّعبِ بأكمله. وقد كان هذا الشعورُ بالانتماءِ للعائلة بمثابة السبب وراء بقاء اليهودِ في حالة التزامٍ تامٍ بواجباتهم المُشتركة تجاه بعضهم البعض بالرغم من شتاتهِم في كافة أرجاء العالم. والسؤال الذي يطرحُ نفسه هنا: هل لازالت هذه الحالة موجودة في وقتنا الحالي؟

في الواقع فإن الانقسامات التي يشهدها العالم اليهوديّ حالياً قد تكون عميقة أحياناً، والمُهاترات بين فئة وأخرى قد تكون قاسية جداً لدرجة أن أحدنا لا يُصدقُ بأن مثل هذه المهاتراتِ تحدثُ على أرض الواقع. وهذا ما عبّر عنه مارتن بوبر خلال خمسينيات القرن الماضي حين وضَّح بأن الحالة المعهودة لارتباط اليهود ببعضهم البعض لم تَعُد موجودة، كما أن "كنيسِت يسرائيل" (بمعنى وِحدة الأمةِ أمام الله عز وجلّ) لم يعد لها وجودٌ هي الأخرى. بمعنى آخر، فإن الانقسامات بين اليهود المتدينين والعلمانيين، واليهود الأرثوذوكس وغير الأرثوذوكس، واليهود الصهاينة وغير الصهاينة، جميعها انقسامات سبّبت صدعاً قد يكونُ من الصعب رأبُهُ، على حد تعبير بوبِر.

لكن من وجهةِ نظري فإنه من غير اللائقِ أن نُعمّم مثل هذه الأفكار، تحديداً بسبب جوهريّة الانتماء للعائلة في علاقة اليهود ببعضهم البعض، فَلو احتدّ النقاش بينك وبين صاحبك فإنك قد تجده خارج حياتك في اليوم التالي، لكن مهما احتدّ النقاش والجدل بينك وبين أخيك فإن رابطة الأخوة ستظلُّ موجودة مهما حصل. كما أن سِفر التكوين يتحدث عن الكثير من الخلافات والنزاعات بين الإخوة والأشقّاء، لكنها لا تحمل جميعها النهاية نفسها. ففي قصة قاين/قابيل وهِفْل/هابيل ينتهي المطاف بمَقتل هِفْل، بينما في قصة يِسحَق/إسحَق وأخيه إشمَعئيل/إسماعيل نجدُ أنهما وضعا خلافاتهما جانباً ثمّ وقفا بجانب بعضهما البعض على قبر أبيهما أفرهام. والحالُ نفسه بالنسبة لقصة يَعقوف/يَعقوب وأخيه عيسَف /عيسَو، حيث تبلغُ أحداثُ قصتهما ذَروتها عندما يلتقيان ببعضهما البعض ويحضنُ كل منهما الآخر رغم الفراق الطويل بينهما، ثم يذهبُ كل منهما في طريقه. والحال نفسه بالنسبة لقصة يوسف وإخوته، والتي تبدأ بحالةٍ من العداوة وتنتهي بالمُسامحة والتصالح بين الإخوة.

بعبارة أخرى، بإمكان شمل العائلة أن يلتئِم أياً كانت الظروف التي تفرّق بين أبنائها، والشعبُ اليهوديّ يظلُّ بمثابة عائلة كبيرة ممتدة وموحّدة على الرغم من الانقسامات التي نشهدها تارة هنا وتارةً هناك بالرغم من طبيعة شخصياتهم المُحِبّة للنقاش والجدال، خاصة في ظلّ وجود رابطٍ آخر يجمعهم، ألا وهو رابِط المصير المُشترك. ومثلما يؤكِدُ لنا هذا النصُّ الأسبوعيّ من نصوص التوراة، فإنهُ عندما ينهارُ أحد إخوتِنا يتوجّبُ علينا أن نَمُدّ له يد العون حتى ينهضَ ويقفَ على قدميه مُجدداً.

1. الحاخام موسى بن ميمون في كتابه "مِشني توراه – هلخوت مَتنون عَنيم" - Maimonides, *Mishneh Torah*, *Hilkhot Matnot Aniyim* 10:2.

2. *Mekhilta DeRabbi Shimon bar Yoĥai* on Exodus 19:6

3. Edmund Burke, *Reflections on the French Revolution* (The Harvard Classics, 1909–14)

4. Alexis de Tocqueville, " Principal Causes Which Tend to Maintain the Democratic Republic in the United States

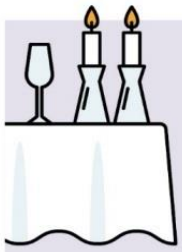

حَولَ مائِدةِ يومِ السّبتِ المُقَدَّسِ: أَسئِلةٌ لِلتَّأمُلِ

1- برأيك لماذا توجد حالة من الجدال الدائم داخل العائلة؟
2- هل يمكنك أن تنتمي لعائلة غير عائلة والديك؟ هل يمكنك الانتماء للشعب اليهودي حتى وأن لم تولَد يهودياً؟
3- هل تشعر بأن لديك ارتباطاً باليهود في مختلف أنحاء العالم؟

● These questions come from this week's Family Edition to Rabbi Sacks' Covenant & Conversation. For an interactive, multi-generational study, check out the full edition at **https://www.rabbisacks.org/covenant-conversation-family-edition/behar/family-feeling/**

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*
Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism*, *Bar Ilan University*